بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩٣ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ١٥/ ١٠/٢٠٢٤م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام فيما ذكره الفيض الكاشاني ﵀ من أنواع الذكر، وذكرنا في البحث السابق خمسة أنواع، وأن كان لدينا ملاحظة على جعل بعض تلك الأنواع من أنواع الذكر، بل هناك أكثر من ملاحظة على ما أفاده الفيض:

ترتبط بالتداخل بين تلك الأنواع من جهة، ومن جهة أخرى بعض تلك الأنواع هي مناشئ للذكر وليست ذكراً، ففرق بين أن تفعل فعلاً يجعلك تتنبه ويجعلك تتذكر وتخرج عن هجعة الغافلين، وبين أن يكون هذا الفعل في حد ذاته هو ذكر.

مع قطع النظر عن مثل هذه الملاحظات، وللفائدة المعنوية فيما ذكره الفيض الكاشاني توقفنا عند هذا البحث.

النوع السادس: أن يذكر الله تبارك وتعالى بالتفكر بصنائعه وآلائه.

الذكر من خلال التفكر، والروايات في باب التفكر في غاية الكثرة، والتي جعلت تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة؛ باعتبار أن مبدأ الأعمال خيرها وشرّها الفكر، الإنسان قبل أن يقدم على أي عمل اختياري، فالعمل الاختياري مسبوق بالإرادة، والإرادة مسبوقة بالتصور، أتصور الشيء وأتصور مصلحته، ثم أصدق بالمصلحة والنفع، فتهجم النفس وتريد هذا الفعل.

إذاً مبدأ الأفعال هو الفكر، ولذا ورد في الخبر عن أمير المؤمنين ﵇ أنه قال: (صيام الفكر عن التفكير في الآثام أفضل من صيام البطن عن الطعام) مبدأ الأعمال الخيرة والشريرة هي الفكر، فالفكر هو الذي يجعل الإنسان يتنبه.

وكما في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: (نَبِّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَك وَجَافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ)[1]. هذا الحديث يؤكد الملاحظة التي سجلناها على الفيض الكاشاني، فالتنبيه في مقابل الغفلة، أي ذكر، فالتفكير منشأ من مناشئ الذكر ويؤدي إلى الذكر ويؤدي التنبه، لا أنه بذاته هو ذكر.

هذا في الواقع يكون الإطلاق من باب الإسناد المجازي.

وهذا على أنحاء، فتفكر الخواص يختلف عن تفكر العوام، والإنسان الذي يلتقط المواعظ والعبر على مراتب، عندما كتب هارون الرشيد إلى مولانا الإمام الكاظم عليه السلام قال له: عظني. فكتب له الإمام عليه السلام كل ما يقع عليه بصرك أو تقع عليه عينك فيه موعظة. لكن ليست كل العين ترى المواعظ، ليست كل عين تتذكر وتبصر حقيقة الأشياء.

فلذا الناس في مسألة التفكر وتلقي المواعظ مما يقع أمامهم على مراتب، مراتب الخواص التفكر في آلاء الله ونعمه، والتفكر في خلق السماوات والأرض، تلك الآيات الأربعة الواردة في أواخر سورة آل عمران، وفي عجيب صنيع الله سبحانه وتعالى، وفي دقيق صنعه.

بعض الناس يتفكرون بالنعم الظاهرة التي تقع عليهم؛ لأن النعم على قسمين نعم ظاهرة يلتفت إليها كل إنسان، وهناك نعم باطنة لا يلتفت إليها كل أحد، ذلك الذي جاء إلى أحد الأئمة عليهم السلام يشكي الفقر، فالإمام سأله أنه هل تتخلى عن ولايتنا بمئة درهم؟ قال: لا، قال: بألف قال: لا، إلى أن وصل إلى ألف ألف أي مليون. فقال له: من عنده شيء لا يرضى فيه بألف ألف لا يكون فقيراً. وهذه نعمة الكثير منا لا يلتفت إليها.

الإمام الحسين عليه السلام في ذاك الدعاء العظيم، دعاء عرفة، عندما يذكر آلاء الله سبحانه وتعالى ونعمه، أنا وأنت ولدنا في مجتمع مؤمن، نعيش في مجتمع مؤمن، وهذا لا نستطيع أن نشعر به إلا إذا كنا في غير هذا المجتمع.

الاخوة الذين يعيشون في الغرب احياناً عندهم مشكلة في تناول الطعام، أحدهم نقل لي أيام لا نستطيع أن نأكل اللحم حتى نفتش على مكان فيه لحم حلال، وعندنا سوق المسلمين فحتى في التشريع هناك

[1] الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٥٤

نعمة، الله سبحانه وتعالى لم يكلفنا بالواقع. هذه كلها إذا فكر بها الإنسان تنبهه من هجعة النوم وتوقظه، فالنعم وآلاء كثيرة.

التفكر في عواقب الأمور فهي مرتبة من المراتب في كتاب من لا يحضره الفقيه قال روي عن أبي هاشم الجعفري[٢]: (أَصَابَتْنِي ضِيقَةٌ شَدِيدَةٌ فَصِرْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام [الهادي] فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ أَيُّ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُؤَدِّيَ شُكْرَهَا؟ قَالَ أَبُو هَاشِمٍ: فَوَجَمْتُ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ لَهُ. فَابْتَدَأَنِي عليه السلام فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَزَقَكَ الْإِيمَانَ فَحَرَّمَ بِهِ بَدَنَكَ عَلَى النَّارِ وَرَزَقَكَ الْعَافِيَةَ فَأَعَانَكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَرَزَقَكَ الْقُنُوعَ فَصَانَكَ عَنِ التَّبَذُّلِ. يَا أَبَا هَاشِمٍ إِنَّمَا ابْتَدَأْتُكَ بِهَذَا لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَشْكُوَ لِي مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا)[٣].

قبل أن الإمام عليه السلام يقضي حاجة هذا الرجل ذكره بنعم الله تبارك، الإنسان عندما يتذكر نعم الله سبحانه وتعالى عليه يصاب بالقناعة، يصاب بعزة النفس، يقوى ويطمئن قلبه مهما كانت المصائب.

النوع السابع: التأمل أو أن يذكر الله تبارك وتعالى من خلال التأمل في العلوم الإلهية والمعارف اليقينية بمطالعة الكتب المصنفة في صفات الله سبحانه وتعالى، في قدرته، في خصائصه. وهذا يحتاج إلى أن يستفيد من ذلك أهله، ولا يتبرع ويجمع أفكار من نفسه من دون أن يكون لديه مرتكز علمي يعتمد عليه.

الإنسان كلما انكشفت له الحقائق على المستوى النظري لابد أن يكون ذلك توأماً مع صفاء القلب؛ لأن انكشاف الحقائق على المستوى النظري كثيراً ما تكون من الحجب، والتي تؤدي إلى الغرور والتكبر، وإلى اعتبار الأنا والنفس. أما الإنسان الذي تكون الأفكار والنظريات عنده ملازمة لصفاء القلب كلما تدرج في العلم كلما اقتنع بضعفه وجهله، كلما تفكر في آلاء الله وصفاته وجماله وجلاله كلما شعر بالخجل من ضعفه وحقارته وما شابه ذلك.

---

[٢] أبو هاشم الجعفري من خيرة أصحاب الإمام الهادي ×، لذا أنواع روايات هذا الرجل للأسف في هذا العصر بعضهم يراها غير مطابقة للمنطق والعقل وما شابه ذلك، وكأن قدرة الله سبحانه وتعالى محدودة، فعندما يرى أن بعض الأشخاص وبعض الرواة يختصون بنمط من الروايات يشكك في الراوي، ولا يعرف أن هذا كشفت له الأسرار؛ لأن أهل البيت ٨ ليست كل تعاليمهم كانت تعطى للجميع، تعطى للبعض فما يعطيه لهشام بن الحكم لا يعطيه لغيره، وهكذا. فبعض الأمور كانت في وقتها تعتبر من الأسرار. وهذا واضح أنه من حواري أئمة أهل البيت ٨ الذين عاصرهم.

[٣] من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٤٠١

أما إذا كانت هذه الأمور للمتاجرة وللمجادلة وما شابه ذلك، كما يقول الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في شرح دعاء السحر، يتحول العلم الذي هو حقيقتها نور إلى ظلام، فيقول العلم هو الحجاب الأكبر.

هذه الاصطلاحات وهذه المعارف بدل من أن تنير قلبي لأنير الطريق للآخرين تتحول إلى حجاب وظلمة.

إبليس من العلماء، إبليس عالم بالعقائد، وممن يعتقد بيوم القيامة ﴿قالَ أَنْظِرْني إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] ويؤمن بأنه الخالق ﴿خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾[٥] ويؤمن بقدرة الله سبحانه وتعالى، فالآيات تدل على أن إبليس من العلماء ويعرف هذه الأمور، ولكن لم تنفعه وأدت به إلى جهنم وبئس المصير.

الذكر الحقيقي في هذه المعارف أن تنعكس هذه المعارف على القلب فتنير القلب، فحينئذ يكون الإنسان متذكراً ويخرج عن حيز الغفلة إلى حيز التذكر.

اختم هذا المطلب حتى نتابع البحث التفسيري بما ورد في بعض الروايات أن عيسى عليه السلام سأله الحواريون (قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ قَالَ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ)[٦]. كثيراً ما تكون مجالسنا تبعد عن ذكر الله.

---

[٤] الأعراف: ١٤

[٥] الأعراف: ١٢

[٦] الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٣٩